قراءة دلالية في كتاب "زكريا أوزون":

"جناية سيبويه"

"الرفض التام لما في النحو من أوهام"

(القسم الثاني)

د. ياسين أبو الهيجاء

كلية الآداب/ جامعة الإسراء

ويحمل زكريا أوزون على الإعراب المقدر في المنقوص والمقصور ويقول[٨٧]:"هو وهم وخيال وكذب وتلفيق". ونقول أي إسفاف هذا، وأي مصلح هذا الذي يستجيز لنفسه أن يستخدم هذه الألفاظ؟ وأشير ههنا مرة أخرى إلى أنّ تقرير اللجنة وقرارات المؤتمر المذكورين أشارا إلى الذي يقول به أوزون، وإن اختلف السياق والتعبير.

ويعرض للمفرد والمثنى والجمع، ويلفت النظر إلى أن صيغة المثنّى آخذة في الانقراض من اللغة المحكية، سواء في الأسماء أو الأفعال، ففي الأفعال تنوب واو الجماعة عن ألف الاثنين، وفي الأسماء قلّما نستخدم المثنّى[٨٨]. كما يلفت النظر إلى أنّ ما يسمّى جمع القلة غير صحيح، ودليله أن " أَنْفُس " على وزن " أَفْعُل "، ونجده يتجاوز العشرة ليصل إلى ما هو

---

٨٧. نفسه: ٦٥.

٨٨. نفسه: ٦٦.

أكثر بكثير في قوله تعالى[٨٩]:" **وأُحضرت الأنفس الشُّحّ**"[٩٠]. وبعد أن يتناول تقسيم الاسم إلى مذكر ومؤنث، ويذكر أقسام المؤنث يختم حديثه بقوله[٩١]:" يتضح لنا تماماً أن من ساهم في وضع قواعد لغتنا العربية ليس عربياً، وإنما كان يحاول وصف تلك اللغة لأمثاله من غير العرب".

ولا يُردّ عليه في مسالة انقراض صيغة المثنّى، لأنه يدعو لمستوى مختلف يتحمل وزره. أمّا خلطه في قضية جمعي القلة والكثرة فمسألة باهتة ردّ عليها اللغويون والنحويون من الكلام الفصيح بما لا يدع حاجة لعرضها، وقد دار على حواشي بيت حسان "لنا الجفنات الغرّ يلمعن في الضحى..."[٩٢]،كثير من النقاش في التبادل بين جمعي الكثرة والقلة جلّى هذه القضية. وقد أصدر مجمع اللغة العربية في القاهرة – الذي يزري أوزون بجهوده – قراراً أجاز فيه التعاقب بين جمعي القلة والكثرة، وتعيين أحدهما بالقرينة[٩٣]. ولكن "أوزون" يضرب صفحاً عن كلّ هذا، ويوهم القارئ أنه يستحق براءة اكتشاف لهذه الظاهرة الصرفية، وكلامه عن عربية سيبويه – وقد عرضت لما فيه من السخف– لا يستحق الوقوف عنده، لأن سيبويه على أعجميته ينتمي إلى هذه اللغة أكثر من كثير ممّن يزعمون الانتماء إليها، فالعربية ليست جينات تُتَوارَث، وإنما هي اللسان، فمن تكلّم بالعربية فهو عربي".

---

٨٩. النساء: ٤.

٩٠. نفسه: ٦٧.

٩١. نفسه: ٦٧.

٩٢. ينظر: الكتاب:٣/٥٧٨، المقتضب: ٢/١٨٨، والخصائص: ٢/٢٠٦، وشرح المفصل: ٥/ ١٠، خزانة الأدب: ٨/١٠٦، وما بعدها.

٩٣. مجموع القرارات العلمية في خمسين عاماً: ٨٧.

ويشرع في تناول المنصوبات بادئاً بالمفعول به، وهو عنده اسمٌ يقع عليه الفعل ولا تهمه حركة آخره لتحديده، وإنما يتمّ استنتاجه من سياق الكلام، ومن فهم الجملة وتحديد الفعل والفاعل[٩٤]. وهو يرفض تماماً مسألة المفعول به الثاني في نحو:" أعطيت الفقير درهماً"، فالذي وقع عليه الفعل هو الفقير وحسب[٩٥]. وهو يلقي في رُوع السامع كعادته أنّ هذا الرأي من بنات أفكاره، وقد قال فريق من النحويين أن المفعول الثاني حال[٩٦]، والقضية بعد ذلك لا تمثل مسألة ذات خطر، فهذا خلاف في التنظير، لا يعني من يتحرّى المنطق السليم. أمّا دعوته الصريحة لإلغاء الإعراب فهي مسألة أخرى، وقد حبّر المحدثون عشرت المصنفات للرد عليها ودحضها.

ويلتفت إلى الأساليب العربية، فيتناول الإغراء والتحذير، ويقول[٩٧]:"ظهر هذا الأسلوب عندما وجد أهل اللغة – النحاة- حركة الفتحة آخر الكلمة، فحاولوا إيجاد تخريجة لها... قرروا أن يعربوا " الحزمَ " مفعول به منصوب (هكذا) لفعل محذوف تقديره "الزم"!! ولم يعترفوا بأنّ قولنا الحزمَ يعطينا نفس معنى الحزمُ الحزمُ، وأن حركة الحرف الأخير لا تغير معنى الكلمة وموقعها"، ويذكر أنه يقال في أسلوب الاختصاص ما قيل في الإغراء والتحذير.

لعل هذا الرأي من أكثر الآراء دلالة على فساد عربية الرجل، وبُعده عن تمثّل أساليب العربية وتراكيبها، وهو يحاول جاهداً أن يمضي في ركوب مذهبه في اطّراح علامات الإعراب، وإذا ظن "أوزون" أن المسألة

---

٩٤. نفسه: ٦٩.

٩٥. نفسه: ٣٧.

٩٦. ينظر: الهمع:٤٨١وما بعدها.

٩٧. نفسه: ٧٣.

فوضـــى لا سَـــراة لها فهو واهم. فالأسلوب لم يُظهره النحاة، كما يقول، بل نقلـــوه عن العرب، وحللوه حسب دلالته. وللنظر من يفقه هذا الأسلوب فقهه الذي يليق به، يقول سيبويه في قولهم[٩٨]: "الطريقَ الطريقَ":"ولا يجوز أن تُضمر تنحّ عن الطريق لأن الجار لا يُضمر" ويردف قائلاً[٩٩]:"واعلم أنه لا يجوز أن تقول زيدٌ وأنت تريد أن تقول ليُضرَب زيدٌ". ولننظر قول السيوطي فـــي التأويل[١٠٠]:" لا يصحّ ولا يسوغ إلاّ إذا كانت الجادة على شيء ثم جاء شيء يخالف الجادة فيُتَأول".

فالإعـــراب لا ينفصل عن الدلالة، ولئن كان ثمة تأويل لا يخلو من التعـــسّف، فإن جله يهدف إلى الاتساق بين القاعدة اللغوية وظاهر التركيب، وهـــو مظهـــر جلـــيّ من مظاهر الالتزام بدلالة النص. والقول بأن "الحزمَ" يساوي " الحزمُ" فيه من جهل الأساليب اللغوية ودلالتها ما لا يحتاج معه إلى دفع. ولو تكرّم علينا "أوزون" وأول لنا "الحزمُ" – في أسلوب الإغراء– على معنـــى مـــن معاني النحو، لعرف إلى أيّ شيء يفضي مذهبه، ولكنه يركب مركباً لا يحسنه، وإن كان يدري أين يتجه به.

ويخوض في سائر المفاعيل، فيتوقف عند المفعول فيه، ويرى[١٠١]: "أن هذه التسمية المشتركة لا تميز بين مفهوم الزمان ومفهوم المكان؛ ذلك أنّ زمـــن حدوث الفعل يختلف كثيراً عن مكان حدوثه، فلا يمكن السيطرة على الزمن من قبل الإنسان، ولا يمكننا أن نفعل فيه ما نشاء، ويرى أن مصطلح الظرف مُلْبِس وغريب ولا مدلول له في الذهن، وإلى هذا يعيد خلط الطلاب

---

٩٨. إلا في القليل النادر، ينظر: سيبويه: ٤٩٦/٣، وما بعدها، والمقتضب:٣٣٦/٢.

٩٩. الكتاب:٢٥٤/١.

١٠٠. الاقتراح: ٣٩

١٠١. نفسه: ٧٥.

بـــين المفعـــولات. أمّـــا فـــي المفعول المطلق، فهو يعلن "أنه لا يفهم معنى المطلـــق، ويـــرفض كل ما يقال في مسألة نيابة المفعول المطلق. كما يحمل علـــى باب المفعول معه؛ لأنه -كما يقول- لن يسير والشارع، لسبب بسيط وهـــو أنه كائن حيّ والشارع جماد. وفي المفعول لأجله يسأل عن الهاء فيه، نحو قولهم:"وقف الطلاب احتراماً للمعلم" علام تعود؟ ويعلّق قائلاً[١٠٢]:" من الواضـــح أنّ المعلم هو المفعول لأجله، فمن أجله تمّ الوقوف.. أمّا (احتراماً) فهي سبب وقوف الطلاب".

أمّـــا مـــسألة أن تـــسمية المفعول فيه لا تميّز بين مفهومي الزمان والمكان، بحجة عدم التمييز بين زمن حدوث الفعل ومكانه فأقول لا شك أنّ هـــذا الرجل اطلع على الخلاف بين البصريين والكوفيين في التسمية، ولكنه يوهم القارئ -كدأبه- بأنه وقع على خلل لم يتنبّه إليه غيره، وهَنَة لم تدركها أنظـــار السلف المتحجّر. فالظرف من مصطلح البصريين، وجاء في حاشية الـــصبان[١٠٣]:" واعترضهم الكوفيون بأن الظرف الوعاء المتناهي الأقطار، وليس اسم الزمان والمكان كذلك... وأجيب بأنهم تجوزوا في ذلك واصطلحوا علـــيه، ولا مُشاحّة في الاصطلاح"، فالتسمية لا شك من باب المجاز. وهنا تجـــدر الإشارة إلى أنّ الكوفيين يطلقون على الظروف إضافة إلى المفعول فـــيه، الصفات والمحال[١٠٤]، والمواقيت[١٠٥]. على أنّ تسمية الظرف شاعت حتى باتت علماً على هذا الباب، وأي شيء يجنيه "أوزون" من ردّها؟ هذا من

---

١٠٢. نفسه: ٧٧.

١٠٣. حاشية الصبان: ١/١٨٣.

١٠٤. ينظـــر: معاني الفراء: ١/٢٨، ١١٩، ٣/٤٢. وإعراب القرآن/النحاس:١/١٦٩. وتهذيب اللغة:١٤/٣٧٣. والموفي في النحو الكوفي:٢٢٢. مسائل الخلاف:١٨/٥١.

١٠٥. معاني القرآن/الفراء:١/١١٩، ١٣٨.

وجــه، ومــن الــوجه الآخــر لم يطلعنا على المصطلح الذي يراه مناسباً لمدلولها.

وأمّــا عــدم فهمــه لمعنى "المطلق"، فلا يضيره، والنحاة أرادوا أن يميزوه من غيره، فاصطلحوا على هذه التسمية التي تمثّلوا دلالتها، فهو من جهــة لا يتقيد بحرف كسائر المفعولات، ومن جهة أخرى يكاد يكون عندهم المفعول الحقيقي الذي أحدثه الفاعل بعد إذ لم يكن. ومع هذا فثمة رأي جدير في هذا الصدد بالمناقشة، لو التفت إليه السيد أوزون. فابن هشام في المغني، يذكــر "فــي التحذيــر من أمور اشتهرت بين المعربين والصواب خلافها" قولهم:"خلقَ الله السماواتِ" على أن "السماوات" مفعول به، ويقول معلقاً[١٠٦]:" والــصواب أنه مفعول مطلق، لأن المفعول المطلق ما يقع عليه اسم المفعول بلا قيد"، ويردف موضحاً:"المفعول به ما كان موجوداً قبل الفعل الذي عمل فــيه، ثم أوقع الفاعل به فعلاً. والمفعول المطلق ما كان الفعل العامل فيه هو فعــل إيجاده، والذي غرّ أكثر النحويين في هذه المسألة أنهم يمثلون المفعول المطلــق بأفعال العباد، وهم إنما يجري على أيديهم إنشاء الأفعال لا الذوات، فــتوهموا أن المفعول المطلق لا يكون إلا حدثاً، ولو مثّلوا بأفعال الله تعالى لظهر لهم أنه لا يختصّ بذلك". وفي هذه المسألة وجوه كثيرة للنقاش لو كان يبغــي " أوزون" مناقــشة علمية ذات فائدة، أمّا أن يرفض المفعول المطلق تعــسفاً، فأي إصلاح هذا الذي يزعمه؟ والكلام على رأيه في نائب المفعول المطلق لا يجدي، ما دام يردّ الباب كله.

وأمّــا رده لــــ "المفعول معه" لأنه "لن يسير والشارع، لسبب بسيط وهــو أنه كائن حيٌّ والشارع جماد"، فأقول: أسقِمْ بهذا فهماً، لأنه فهم قِشريّ يــسقط الدلالة، فــ"واو" المعية تتميز من "واو العطف" بأنها تقتضي الاقتران

---

١٠٦. المغني: ٨٦٧.

الزمنـــي الحتمـــي، دون شرط التشريك في الحكم، بينما تقتضي واو العطف التـــشريك في الحكم، اقترن معه بالزمان أم لم يقترن، فالمعية هي المصاحبة الـــزمنية بالدرجة الأولى، والدلالة الأولى للعطف هي الاشتراك في الحكم، وما نُصِبَ المفعول معه إلا إيذانا بهذه الحقيقة.

وأمّا اعتراضه على مصطلح المفعول لأجله فلا وجه له، فالمقصود بالمفعـــول لأجلـــه ما فُعِلَ لأجله فعلٌ، وحصلَ بسببه هذا المفعول، وهو في اصـــطلاحهم أيضاً المفعول له، ومن أجله، والتفسير[١٠٧]، وهو عند الكوفيين مـــن باب المصدر[١٠٨]. ومناط الدلالة في هذا التركيب هو الفعل أو ما يقوم مقامـــه لا المصدر المنصوب، ولا الاسم المجرور. ويمكن أن نصف الحدث ههنا بـــ "قمة التركيب"، والمفعول يفسّره، وهذه هي دلالته، فعند قولنا: "وقفنا إجـــلالاً للمعلم"، فالخبر الذي يتبوّأ قمة هذا التركيب، هو الوقوف؛ لأنه يبغي تفسير حَدَث غير معلّل، قام به الفاعل؛ لذلك جاء المفعول (المصدر) يفسّره، ويجلـــيه. ولعـــل تحويل التراكيب التي يَرِد فيها المفعول لأجله إلى تراكيب استفهامية، نحو: لم وقفت، ولم سافرت..."؟ والإجابة عنها، يؤكد هذه الدلالة. وتـــسطيح هذا التركيب، في جعل "المعلم" في المثال المذكور ونحوه "مفعولاً لأجله"، فضلاً عن التجاوز في مفهوم المفعول، ينبئ بالفهم السقيم لهذا الباب أيضاً.

وهـــو يحمل على مفهوم التمييز، ويقول[١٠٩]:"إنّ التمييز يتحقق ويتمّ عندما يتوفر لدينا معطيات مختلفة نميزها عن بعضها كأن يطلب منّا أن نميز الاســـم عـــن الفعـــل في نص (معطيات مختلفة) أدبي، أمّا أن نوجد كلمات افتراضية ونسميها تمييز (هكذا)، فهذا وهم، والوهم لا يعطي قواعد سليمة".

---

١٠٧. معاني القرآن:١/١٧، ٧٣.

١٠٨. أسرار العربية:١٧٤.

١٠٩. نفسه: ٨١.

وهذا كلام كسابقه أقرب إلى الغمغمة منه إلى البيان، غير أنّ الأمثلة تقرّبنا إلى مراده، إذ يقول:"عندما أقول مثلاً: اشتريت دونماً أرضاً، فهل كلمة (أرض) ميّزت الدونم وأزالت عنه الإبهام؟ ولماذا لا تكون كلمة (دونم) هي التمييـــز لأنهـــا تبين مساحة الأرض المشتراة مقدرة بالدونم لا بالفدان مثلاً؟ وإذا قلت: "اشتريت دونم أرض" لماذا لا يصبح التمييز مضافاً إليه"؟

لا شـــكّ في أنّ هذا الذي يقول به " أوزون" يندرج تحت "التدليس"، فلْـــيوثق المثال الذي يسوقه لينقد باب التمييز إن استطاع، لنرى في أيّ نصّ هـــو، وهـــل يظـــن أنه بلغ السخف بالنحويين أن يجعلوا من "الدونم" تمييزاً لـــ"أرض"، يناقشون فيه باباً يعدونه موضحاً لمبهم، وتفسيراً لغامض. وهلاّ قرأ هذا الرجل فقه سيبويه – الذي يسم جهوده بالجناية – لهذا الباب، حتى يعـــرف من الجاني؟ يقول سيبويه في كلامه على تمييز المقادير[١١٠]:"وذلك قولك: ما في السماء موضع كفٍّ سحاباً، ولي مثله عبداً، وما في الناس مثله فارســـاً، وعلـــيها مثلها زبداً. وذلك أنك أردت أن تقول: لي مثله من العبيد، ولي ملؤه من العسل...". فهل يرى السيد أوزون أنّ دلالة التمييز ههنا هذر يمكن إسقاطه؟

علـــى أن ثمة مسألة ينبغي الإشارة إليها، وهي مسألة التمييز المؤكِّد على الخلاف فيه، نحو[١١١] قوله تعالى: "**إنّ عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً**"، وقول الشاعر[١١٢]:

والتغلبيون بئس الفحلُ فحلهمُ فحلاً وأمّهم زلاءُ منطيـــقُ

---

١١٠. سيبويه: ١٧٢/٢.

١١١. التوبة: ٣٦.

١١٢. البـــيت لجريـــر فـــي ديوانه: ٤٨٢، وهو في "شرح الكافية الشافية:٤٩٦/١، و "شرح ابن عقيل:١٦٤/٣.

فخلافـاً لكثيـر من النحويين [١١٣] قد يأتي التمييز مؤكداً، قال المبرد[١١٤]:" واعلم أنك إذا قلت: نعم الرجل رجلاً زيدٌ، فقولك:"رجلاً" توكيد: لأنه مستغنى عـنه بذكر الرجل أولاً، وإنما هذا بمنزلة قولك: عندي من الدراهم عشرون درهماً. إنما ذكرت الدرهم توكيداً، ولو لم تذكره لم تحتج إليه". وهذا يختلف اخـتلافاً كبيـراً عمّا يزعمه " أوزون"، ويلقي به دون سياق، ويجعله مسألة بديهية في كتب النحويين.

أمّا التمييز المجرور فحديث الرجل فيه حديث من لم يطلع على كتب الـنحو ولا علـى كلام العرب. فالتمييز المجرور تمييز، غير أن اصطلاح التمييـز مجـرّداً يعني باباً معيناً من المنصوبات له أركانه، فإذا جيء إلى التمييـز المجـرور كـان لا بد من الإشارة إلى مسألة الجرّ فيه، ولعلّ هذه المسألة تبدو جلية في باب العدد. أمّا نقده المصطلح، وجعله من باب الوهم، فهـو مـن الخلط والفوضى لا من الإصلاح، فهذه مسألة لا تمثّل أيّ إشكال لـدى الـدارس، وهـو يريد أن يجعل منها قضية أسهمت في تعمية النحو وغموضه.

ثم يتناول الاستثناء، ويعرض لقولهم:جاء الرجال إلا رجلاً"، ويعقّب قائلاً[١١٥]: وهنا نسأل ماذا أنجزنا عندما قلنا إنّ رجلاً مستثنى بـ"إلاّ"، وهل بـيّن الإعراب تأثير كلمة رجل في العبارة؟ هل بين دور الكلمة؟" ثم يتناول قـولهم:" ما جاء الرجال إلا رجلاً" ويعلّق عليه:"هنا يمكنك أن تعرب "رجلٌ" بدل من الرجال مرفوعاً بالضمة. ونسأل ما هذه المحاكمة الغريبة... وجدوا

---

١١٣. ينظر حاشية الصبان: ٣٠١/٢.

١١٤. المقتضب:١٥٠/٢، وينظر: الخصائص، ٨٣/١، شرح الكافية الشافية:٤٩٦/١.

١١٥. جناية سيبويه: ٨٢-٨٣.

أن آخر الكلمة مرفوع، فلم يجدوا لها سوى تخريجة البدل، وهل يحق لنا أن نقول ما جاء رجلٌ إلاّ رجلٌ".

ولا يـزال هـذا الـرجل يلبّس على القارئ، فقبل تحليل نظره في الاستثناء نجد أنه يضرب مثلاً:" جاء الرجال إلا رجلاً" وفيه استثناء نكرة لم تخـصص من معرفة، وهذا لا يجيزه أحد من النحويين، فلا يجوز الاستثناء مـن النكرة ولا أن يكون المستثنى نكرة إلاّ إن أفادتا، والإفادة على وجهين؛ إمـا بتخصيصهما بوصف أو إضافة أو غيرهما ممّا يفيد تخصيصاً، والوجه الآخر أن يكون الاستثناء في كلام تام منفي أو شبه منفي؛ لأن النفي وشبهه تـتحقق فيه الفائدة لدلالة النكرة على العموم[١١٦]. و"أوزون" – كما نرى – مـصلح لا يمـتلك الأدوات الأساسية للمادة التي يدعي إصلاحها. أمّا قوله "وهـل بيّن الإعراب تأثير كلمة رجل في العبارة؟" – يعني المستثنى– فليس غـريباً على من ركب منهجه ، فإذا كانت دلالة الاستثناء لغة واصطلاحاً لا تمـثل له ما يستحق الوقوف عنده، فماذا يمكن أن نطلق على هذا التركيب، أقرب معنى وأصدق دلالة؟

أمّـا الـبدل في الاستثناء الذي تعلّق به فلينظر وليوازن أيما يتمثل الـروح الحقيقية للغة هو أم سيبويه(الجاني)، يقول سيبويه في باب" ما يكون فيه المستثنى بدلاً ممّا نفي عنه[١١٧]:" وذلك قولك: ما أتاني أحدٌ إلاّ زيدٌ، وما مـررت بأحـدٍ إلاّ زيدٍ، وما رأيت أحداً إلا زيداً، جعلت المستثنى بدلاً من الأول، فكأنمـا قلـت:مـا مررت إلا بزيدٍ، وما أتاني إلاّ زيدٌ، وما لقيت إلاّ زيـداً". وإضـاءة المسألة عند ابن يعيش، إذ يقول[١١٨]:" والفرق بين البدل

---

١١٦. ينظر: الهمع:٢/١٨٤، حاشية الصبان:٢/٢٠٨.

١١٧. سيبويه:٢/٣١١ وما بعدها.

١١٨. شرح المفصل: ٢/٨٧. وينظر: معاني النحو:٢/٢٢١.

والنـــصب في قولك:ما قام أحد إلاّ زيد" أنك إذا نصبت جعلت معتمد الكلام النفـــي، وصار المستثنى فضلة فتنصبه، كما تنصب المفعول به، وإذا أبدلته منه كان معتمد الكلام إيجاب القيام لـــ "زيد"، وكان ذكر الأول كالتوطئة، كما ترفع الخبر لأنه معتمد الكلام".

فقوام المسألة الدلالة التي يضرب السيد أوزون عنها صفحاً، فالقول "مـــا قام أحد إلا زيدٌ" دلالته "ما قام إلا زيدٌ" على نية إثبات القيام لزيد؛ لأنه المقـــصود بـــالحكم، والمـــبدل مـــنه ههنا توطئة لهذه الحقيقة، فهو في حكم المطـــروح، فإذا قيل:"ما قام أحدٌ إلا زيداً" كان قوام الدلالة النفي، لأنك تنفي القـــيام عـــن الجميع، ثم تستثني زيداً من هذه الحقيقة، فغاية الاتباع الإثبات، وغاية النصب النفي، ولكل دلالته.

ويخـــتم حديثه في الكلام على الجارّ والمجرور، ويحمل على مفهوم شـــبه الجملة كما يحمل على التعليق عند النحاة، ويقول[١١٩]:" والسؤال الآن هـــل "بـــه" أو "منه" أو "عليه" مثلاً أشباه جمل؟ وما المعنى الذي تعطيه تلك الأحـــرف المتـــشابكة الغـــريبة؟ ويقـــول في التعليق "وشبه الجملة (الجار والمجـــرور) بحاجـــة إلى ما تتعلّق به...فإذا قلت "نام الطفل في البيت" فإن الجـــار والمجرور "في البيت متعلقان بالفعل "نام"، ولكن إذا قلت "نام الطفل صـــباحاً فـــي البـــيت" فهـــنا يتعلّق الجار والمجرور بالظرف وننسى الفعل الأصـــلي". ويقـــول معلّقاً في الحاشية[١٢٠]: ما هو المدلول الذي تتركه كلمة "متعلّق" في الذهن؟ وهل يصل مدلولها إلى كل إنسان عربي يريد تعلم قواعد لغته؟".

---

١١٩. نفسه: ٨٥.

١٢٠. نفسه: ٨٩.

وأقــول: إن مــصطلح "شبه الجملة" هو مصطلح دالّ على أن هذا التركيب يفتقر إلى عنصر مكمّل لمعنى الجملة، وعند جمهرة النحويين يجب أن تــتعلق شبه الجملة بنوعيها الظرف والجار والمجرور بفعل أو ما يشبهه مــن المشتقات، وأقل من هذين معنى الفعل، نحو"أفٍ للكسالى"، واسم مؤول بمــا يشبه الفعل، نحو قوله تعالى:"**وهو الله في السموات والأرض**"، فحرف الجرّ متعلق بــ"لفظ الجلالة"؛ لأنه مؤول بــ"المعبود":"؛ لتكتمل بهما الدلالة.

والتعلّق من أنصع القضايا الدلالية في النحو العربي، ولنضرب مثلاً للسيد أوزون على التعلق من كثب لعله يدنيه منه، فلو قيل:رأيت القمرَ فوق الــتلة" ماذا يُفهم من شبه الجملة؟ لا شكّ أن في المعنى غموضاً تجليه مسألة الــتعلق، فلو عُلّق الظرف ههنا بالفعل، لكان القائل قد رأى وهو نفسه فوق الــتلة "القمرَ في السماء"، ولو علقه بــ "حال" محذوف، لكان القائل قد رأى القمــرَ نفــسه مــستقراً فوق التلة، وهنا تظهر قيمة التعلق التي يزري بها "أوزون". والقرآن الكريم حافلٌ بالشواهد التي تدلل على قيمة التعلق، ويكفي أن أضــرب شاهداً واحداً منها، وهو قوله تعالى[١٢١]:"**وقال الذي اشتراه من مــصر لامرأته أكرمي مثواه**"، **فتعلُّق "لامرأته"** بــ"قال" لا بــ"اشتراه"؛ لأن المعنــى يكون على هذا (اشتراه لامرأته) وفي هذا فساد للمعنى بيّن، وتغدو قال بلا مخاطَب.

بقــي ههنا أنّ التعليق لا يقتصر على شبه الجملة بقسميها، بل يشمل أبواباً غيرها، وإن اختلف مسمّاه؛ مادام المعنى العام يفتقر إليه، وللنظر قوله تعالــى"وأنفقــوا ممّا رزقناهم سراً وعلانية" فــ"سراً" و"علانية" إمّا أن تكونا حالين أو مفعولين مطلقين، وهما متعلقان بــ"أنفقوا" لا برزقناهم"، لأن مناط

---

١٢١. يوسف ٢١.

الدلالــة الإنفــاق، لا طبــيعة الــرزق. ومثل هذا في اللغة كثير، لو وعاه "أوزون"[١٢٢].

وبعــد هــذا، فإننا نسأل السيد أوزون أين موقع قوله في "نام الطفل صــباحاً فــي البــيت": فهنا يتعلّق الجار والمجرور بالظرف وننسى الفعل الأصــلي"، وعلى أي وجه من وجوه النحو أو الدلالة علّق الجار والمجرور بــ"الظرف"؟

ويخوض في الفصل الرابع فيما يسمّيه الأدوات ولعله أكثر الفصول الذي ينتاب الكاتب فيه ما يشبه الهذيان، وأول ما يتناوله الهمزة، ويعرض لها فــي حالة الاستفهام، ويذكر قوله تعالى[١٢٣]:"أيحبّ أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميــتاً" وقــوله تعالــى[١٢٤]:"أأنــتم تخلقــونه أم نحــن الخالقــون"، ويعلّق قائلاً[١٢٥]:"ونحن نرى أنّ الهمزة في كلتا الآيتين السابقتين لا تفيد الاستفهام، لأن الله عــزّ وجل لا يسأل عباده، فهو عالم بطبيعة عباده، وبكافة أحوالهم وإجابــاتهم- وهي تفيد الإنكار". وقد رأينا أيّ جهل يركب "أوزون" في هذه المــسألة، غيــر أنّــه ههــنا يضيف إليه إنكارَه خروجَ الاستفهام عن معناه الأصلي، وهو باب عريض في البلاغة، ودليل بارز على تصرّف اللغة في تراكيبها وأساليبها.

ويتــناول " أنْ " و" إنْ " المخففتــين، ويتكلم على تخريجات النحاة المضحكة المبكية -كما يقول- في قراءة" إن هذان لساحران"، ويتهكّم عليهم حيــنما يذكــرون " إنْ " المشبّهة بليس، وهو في كلّ ذلك لا يقدّم بديلاً لهذه

---

١٢٢. ينظر: معاني النحو:٣/ ٩٧، ومابعدها.

١٢٣. الحجرات: ١٢.

١٢٤. الواقعة: ٥٩.

١٢٥. نفسه: ٩١-٩٢.

التخريجات بل ينهي كلامه بقوله[١٢٦]:"ونطلب من القارئ العزيز أن يستنتج دقــة وعظمة تلك القواعد العتيدة". وإن كان قارئه العزيز يفقه العربية فقهه فيها، فالمشكلة تستعصي على الحلّ.

وهو لا يفرّق بين " لا " الناهية و" لا " النافية، الداخلتين على الفعل، وينــتقد رأي الــنحاة فــي قولهم إنّ لا النافية لا عمل لها؛ لأنها لا تغيّر من حــركة نهايــة الكلمات، ويقول:"فإذا قلت: لا أحب الوطن" فإن "لا" التي لا عمــل لها – نحوياً- خربت الديار والوطن. ويخلص إلى قوله:" إذاً فالعمل مــرتبط بالحركة، فإذا لم تؤثر في حركة آخر الكلمة ذهب عملها وأصبحت عاجــزة علمــاً بأنها تهز كيان الدول. وله في ذلك نظر؛ إذ يقول[١٢٧]:"وفي حقيقة الأمر لا(النافية) أو لا(الناهية) تؤديان عملاً أساسياً واحداً وهو النفي، ولا النافــية التــي لا عمــل لهــا تنبع من إرادة واعية أو حقيقة ثابتة، أمّا لا(الناهــية)العاملة فتستخدم عند النهي بالأمر والطلب، فعندما نقول لا تعيش الخــراف مــع الــذئاب" فــإنّ لا(النافــية) التي لا عمل لها تنبع من حقيقة ثابتة(ظاهرة طبيعية)... أمّا عندما تقول"لاتنهَ عن خلق وتأتي مثله..."فإنّ لا الناهية العاملة تستخدم للنهي بالأمر والشدة بالطلب".

وهــو يخلط بين مصطلح العمل النحوي وبين دلالة الحرف ومن ثمَّ دلالــة التركيب، وينتهي إلى أن غير العامل يساوي فاقد الدلالة، وهو جهل باللغة وأساليبها، فالعامل وغير العامل ينضويان تحت مسالك الدلالة اللغوية، ولعل أوضح دلالة على هذا الفهم وجود حروف عاملة على لغة ومهملة على أخرى، وخير ما يمثل هذه الحروف "ما" التميمية، وصنوها الحجازية، فكيف

---

١٢٦. نفسه: ٩٧.

١٢٧. جناية سيبويه:٩٧-٩٨.

يفــرق " أوزون" بين قراءتين، في قوله تعالى: " ما هذا بشراً"[١٢٨]، و"ما هنّ أمهاتِهم"[١٢٩]، وقد قرئت"بشرٌ"[١٣٠]، و" أمهاتُهُن"[١٣١] بالرفع. ولو تفضل علينا وشــرح لــنا كــيف يمكن لنا أن نميز بين الإرادة الواعية وغيرها، وكيف نــصرف هــذه الإرادة عمن يستخدم " لا " الناهية، وهو بها أخلق، وعليها أقدر؟

ويعرض لأدوات الاستفهام، ويتناول " كيف "، و" مَن "، ويقول[١٣٢]:" "كــيف" تعرب خبراً مقدماً "لاحظ المغالطة في التسمية من البداية" إذا وليها اســم أو فعــل نــاقص، أمّا "مَن" فنجد أنها تعرب مبتدأ إذا وليها فعلٌ لازم، مــثال:"مــن الطــارق"، والسؤال هنا: ما الفرق بين حالتي " كيف " و"من"، ولمــاذا " كــيف" خبــر مقدم، و"من" مبتدأ؟ ما هو المعيار المنطقي والدقيق للفــصل بيــنهما؟ ولماذا لا يكون كلّ منهما مبتدأ، فيأتي الجواب المفحم: إن "كيف الادخار" تعادل "الادخار كيف"... وهكذا ندخل ثانية في حلقة الترادف المغلقــة"، ويردف قائلاً:" لنأخذ حالة أخرى للأداة "كيف" حيث نجد: "كيف" تُعــرب حالاً إذا وليها فعل تام، مثال:"كيف جاء"(فعل تام) بينما تبقى الأداة " مَن " – إذا وليها فعل تام – مبتدأ، مثال: "من جاء" و يختم كلامه قائلاً[١٣٣]:" وهــنا نــسأل: ما الفرق بين "كيف" و"أين" فيما يلي:" كيف الادّخار" و"أين الادّخار"، إذا كان الجواب لكلا السؤالين: الادّخار في التوفير، مثلاً"؟

---

١٢٨. يوسف: ٣١، وقد اجتمع على هذه القراءة الأربعة عشر.

١٢٩. المجادلة:٢، قرأها السبعة، ينظر: كتاب السبعة:٦٢٨.

١٣٠. قرأها ابن مسعود، ينظر الكشاف٢/٣١٧، والبحر المحيط:٥/٣٠٤.

١٣١. انفرد بها عاصم، ينظر: كتاب السبعة: ٦٢٨.

١٣٢. جناية سيبويه: ١٠٦.

١٣٣. نفسه: ١٠٧.

وممّـا يتـناوله مـن أدوات الاسـتفهام أيـضاً "أي" ويعلق عليها بقـوله[١٣٤]:"أمّا أداة الاستفهام "أي"فهي كـ"ابن بطوطة" تراها مبتدأ أو ظرفاً أو مفعـولاً بـه أو مفعولاً مطلقاً...أداة استفهام تأخذ مواضع غريبة لكلمات تسميتها غريبة، فتعطي قواعد كلها غرابة".

وأقـول: إن من أهمّ الإشكاليات التي لا تفتأ تظهر في كلّ معالجات "أوزون" للموضـوعات التـي يطرقها هي عدم إلمامه بالأبواب التي يزعم إصلاحها. فقوام الجملة العربية الإسناد؛ لأن الإفادة إنما تحصل بهذا الإسناد، ولا يمكـن أن تعـرف دلالة الكلام ما لم يُحدد طرفا الإسناد الرئيسان، وما يفـضل عنهما، وسعياً وراء هذه الدلالة تندرج الغالبية العظمى من خلافات النحويـين. فالوصف النحوي هو وصف للعلاقات التي تربط عناصر الجملة بعضها ببعض، ولا مكان لاسم أو فعل لا ينتظم في هذه العلاقات، وانطلاقاً مـن هذه الحقيقة كان لأسماء الاستفهام محلٌ من الإعراب، وهذا جواب عن المعيار المنطقي والدقيق لهذا الإعراب الذي يطرحه " أوزون".

وإعادة صياغة التركيب الاستفهامي ، بتغيير موقع اسم الاستفهام أو الإجابـة عـنه إنمـا هـو لـتحديد علاقة الاستفهام بالتركيب، واستنكاره معادلة"كيف الادخار" بـ"الادخار كيف"، يجلي بصورة واضحة خلْطَ الرجل فـي موقـع المفـردات كما ينتظمها القانون اللغوي المبني على الاستخدام، وتفـسير هـذه البنية، لغايات تعليمية أو توضيحية، وأكثر ما تلجأ إلى هذه الطريقةِ الكتبُ التعليمة والمدرّسون.

أمّا سؤاله عن الفرق بين "أين" و"كيف" حينما نسأل عن الادّخار، ما دام الجـواب في التوفير، فهو سؤال من لا يعرف مسالك العربية، فإن سلمنا

---

١٣٤. نفسه: ١٠٧.

بالفــرق بــين الادّخار والتوفير في سؤاله، فلا يمكن أن تكون الإجابة عن الــسؤالين واحــدة، إلاّ إذا أراد المجيب أن يخرج إلى باب آخر، قريب ممّا يــسمّى في "علم البديع" بــ"أسلوب الحكيم"، نحو قوله تعالى[١٣٥]:"يَسْــأَلُونَكَ عَــنِ الأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَج". أمّا ابن بطوطة "أيّ" فإن مرونة هذه الأداة، وشحنها بالدلالات المختلفة، واستقراء اللغويين لهذه الدلالات هو الذي أهلها لهذه "الديناميكية" التي ينتقدها "أوزون"، ومَنَحَها هذه المنزلة، وهم لم يتفضلوا عليها بهذه الدلالات من عند أنفسهم .

وفي الفصل الخامس يتناول " إعراب الجمل "، ويتناولها بنقد ساذج، وأول مــا يعــرض للجملة الخبرية، ويمثّل لها بجملة" الطفل يلعب"، ويحمل علــى إعــرابها خبراً،ويردف قائلاً[١٣٦]:"والسؤال هنا ومن المدرسة النحوية الــرائدة، لمــاذا لا تكــون جملــة "يلعب" في محل نصب حال مثلاً، فيكون التأويل:"الطفل لاعباً، ويكون الخبر محذوفاً تقديره "حاله لاعباً".

وهذا يضاف إلى رصيد من الجهل بأساليب العربية ودلالاتها، بعضه فوق بعض، فالأصل في اللغة الوضوح ولا يكون الإبهام غرضاً حتى تكون ثمة غاية بلاغية وراءه، وسبك جملة " الطفل يلعب" ينبئ بأنّ غاية المتكلم أن يخبــر عــن الطفل، لا عن حالته، وتقدير حاله لاعباً عبث، ليس من مسالك اللغة، على الرغم من اتصال الخبر والحال اتصالاً وثيقاً، تحدّد الدلالة أُطُره، وقد أشار سيبويه غير مرة إلى ذلك[١٣٧].

---

١٣٥. البقرة: ١٨٩.

١٣٦. نفسه: ١١٢.

١٣٧. الكتاب: ٤٩/٢، ٥٠، ٨١، ٨٧ – ٩٢.

ويتناول الجملة الوصفية، ويأخذ المثالين الآتيين "رأيت طفلاً يلعب"، و "رأيت الطفل يلعب"، ويعلق على الجملة الأخيرة[١٣٨]:"فإن جملة "يلعب" في محـــل نـــصب حال، وذلك حسب القاعدة المهلهلة، خالية الدلالة "الجمل بعد المعـــارف أحـــوال، وبعـــد النكرات صفات"، ويردف قائلاً: ما هو المعيار المنطقي الواضح الذي جعل من الجملة الفعلية(يلعب) (حال)، ومن التي قبلها صـــفة" ومن الأولى (خبر)؟ إنّ مجرد الخلط بين الفعل الذي يتضمن مفهوم الـــصيرورة والسيرورة(مفهوم التبدل والزمن)، والاسم الذي يتضمن مفهوم الثـــبات والكينونة يقودنا إلى خطأ جسيم فادح وإلى طمس الحقيقة، فإذا قلت: الطفل يلعب، فإن تلك الجملة لا تعني ولا تعادل البتة، عبارة "الطفل لاعب"، الأولـــى فـــيها مفهوم الحركة والزمن والثانية فيها مفهوم الثبات، فكيف تتم المساواة"؟

وأقـــول: القاعدة التي يسمها "أوزون" بـــ"المهلهلة، خالية الدلالة" هي أيـــضاً مـــن أشهر القواعد الدلالية في العربية، والمعيار المنطقي الذي يسأل عنه في التمييز بين الجملة الصفة، والجملة الحال، لا مكان له، ولا يطلبه إلاّ السيد أوزون ومن ينهج نهجه. فقولك: رأيت طفلاً يلعب" له دلالة محددة، في ســـياق محـــدّد، ولا يمكـــن بحال أن تُلقَى هذه الجملة إلاّ إذا كان هذا الطفل يلعـــب، في سياق يقتضي وجود أطفال غيره لا يلعبون، أو لا يقدرون على اللعـــب، أو يكون هو نفسه لا يقدر على اللعب في الأصل لأمر ما، وإلاّ لم يكـــن لهـــا أيّ دلالة ذات معنى أو مغزى؛ ذلك أنها تريد أن توصل للسامع صـــفة لهذا الطفل في سياق مخصوص، حتى تغدو الصفة والموصوف شيئاً واحداً دالاً على هذا الطفل، يخصصه من غيره، فمركزية الدلالة هنا تتكون مـــن مجمـــوع الطرفين النكرة والجملة التي توصف بها. وللنظر إلى قوله

---

١٣٨. نفسه: ١١٣.

تعالى[١٣٩]:" **فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى**"، فبؤرة الدلالة، تتكون من الموصوف وجملة الصفة، فقد تحوّلت هذه العصا إلى حية لا تحتاج إلى وقت للتكيّف مع كينونتها الجديدة، بل نجدها تنتقل وتمشي بسرعة، كأنها رُكّبت في هذه الصورة، فمركزية الدلالة تتكون من مجموع الحية ونعتها.

أمّا "رأيت الطفل يلعب" فله سياق مختلف تماماً، فمن جهة نجد أن ثمة اتفاقاً على معرفة هذا الطفل بين القائل والسامع أو السامعين، وقمة الدلالة في توضيح الحال التي عليها هذا الطفل، والسامع أو السامعون ينتظرون هذا التوضيح، والسياق يفترض أن الحال وحدها ههنا مركز الدلالة؛ لأن الأصل فيه أن يكون على غير هذه الحال. ولنأخذ شاهداً بيناً من الكتاب العزيز، وهو قوله تعالى[١٤٠]: "**يا أيُّها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى**" فبؤرة الدلالة ههنا هي جملة الحال، وعليها يتوقف الحكم، الذي يتشوّف إليه السامع.

أمّا كلام " أوزون" على التأويل، وعلى الفرق بين الفعل الذي يتضمن مفهوم الصيرورة والسيرورة(مفهوم التبدل والزمن)، والاسم الذي يتضمن مفهوم الثبات والكينونة، الذي يقودنا إلى خطأ جسيم فادح وإلى طمس الحقيقة، كما يقول، وهو يعني تأويل الجملة بـ"اسم الفاعل". فأقول أولاً: من أين أتى السيد أوزون بأن اسم الفاعل يتضمن مفهوم الثبات؟ ألم يقرأ قوله تعالى[١٤١]:"**الحمدُ لله فاطرِ السموات والأرض* جاعلِ الملائكة رسلاً**"، فأين الثبات في هذا؟ ولئن كان اسم الفاعل الذي يدل على المضي، ثابتاً، فإن قسماً كبيراً منه ليس كذلك، وهو الذي يعمل عمل فعله، بل إننا نجد الكوفيين

---

١٣٩. طه:٢١

١٤٠. النساء، ٤٣.

١٤١. فاطر:١.

يطلقون عليه الفعل[١٤٢]. أمّا تأويل الجملة باسم الفاعل، فإن الأصل في الخبر والصفة والحال الإفراد، وما جاء على غير ذلك فمؤول؛ ذلك أن الجملة التي تقع هذه المواقع نائبة عن المفرد؛ إذ هو الأصل، والمركب فرع منه[١٤٣]. على أننا يجب أن نعترف – بعيداً من المذهب الذي يركبه "أوزون"– أن قضية التأويل من أكثر القضايا إشكالاً في النحو العربي، ولا شك أنها تفتقر إلى دراسات شاملة ومعمّقة، بعيداً من المعيارية، التي تفترض أن قيمة هذا التأويل تنهض من قضية سلامة النصوص.

وفي الفصل السادس يعرض للشواهد والتخريجات النحوية، وممّا يتناوله قوله تعالى[١٤٤]:"ليس البرَّ أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب"، وقوله تعالى[١٤٥]:"وليس البرُّ بأن تأتوا البيوت من ظهورها"، ويعلّق على الحركة الإعرابية لـ"البرّ" في الآيتين[١٤٦]:"ونطلب من الأخ القارئ أن يلاحظ تلك المغالطة العجيبة فـ"البرّ" خبر مقدم، وجدوها منصوبة بعد (ليس)، فلم يجدوا حلاً سوى اعتبارها خبر(ليس) مقدماً، والمضحك بعد ذلك أنهم خلقوا مكاناً لجملة في الإعراب لم نعرفه من قبل".

و"أوزون" بعيد من فقه العربية وأساليبها، وهو لا شك لن يصل إلى جزء يسير من فقه هذه اللغة ما دام يركب هذا المذهب الساذج. فقوام المسألة الدلالة، والآية الأولى: "ليس البرَّ أن تولوا وجوهكم" قرأها حمزة وحفص

---

١٤٢. ينظر: معاني القرآن، للفراء:١/٣٣، ٤٥، ٢/٤٣، ٧٩، ٨٠، ٨١، ٨٣، ٣/ ٢٠٨. و"معاني الكسائي":١٧٣، ١٨٥، ومجالس ثعلب: ١ / ١٢٤، و"مجالس العلماء: ٢٦٥.

١٤٣. ينظر: المغني:٥٣٦، و حاشية الصبان: ١/٢٨٥.

١٤٤. البقرة: ١٧٧.

١٤٥. البقرة: ١٨٩.

١٤٦. نفسه: ١٢٠.

بنـــصب الـــراء من "البر"، وقرأ باقي السبعة برفعها. وقال أبو حيان[١٤٧]:" وقراءة الجمهور أولى، من وجه، وهو أن توسط خبر ليس بينها وبين اسمها قلـــيل، وقـــد ذهب إلى المنع من ذلك ابن دُرستويه تشبيها لها بـــ"ما"، أراد الحكـــم عليها بأنها حرف، كما لا يجوز توسيط خبر ما، وهو محجوج بهذه القراءة المتواترة، وبورود ذلك في كلام العرب.

قال الشاعر[١٤٨]:

سَلِي إن جهلتِ الناسَ عنا وعنهم وليس سَواءً عالـــمٌ وجهولُ

وقال الآخر[١٤٩]:

أليس عظيماً أن تلمَّ مُلمّـــة وليس علينا في الخطـــوب مُعَـــوَّلُ"

فهـــذا الاستخدام الذي ينكره "أوزون" قد جاء عن العرب، فلا محلّ لإنكـــاره مـــن هـــذا الـــوجه. وقال المبرد وهو المعروف بتشدده، وتطويعه الـــشواهد؛ للتنـــسق والقاعدة[١٥٠]: " "ليس"، تقديمُ الخبرِ فيها وتأخيرُه سَواءٌ". وقـــال الزجاج[١٥١]:"ولك في إعراب البر وجهان...فمن نصب جعل "أنْ" مع صـــلتها الاســـم، فيكون المعنى "ليس توليتُكم وجوهكم البرَّ كلَّه"، ومن رفع فالمعنى "ليس البرُّ كلُّه توليتَكم، فيكون البرّ اسم "ليس" وتكون توليتكم الخبر".

---

١٤٧. البحر المحيط: ٤/٢.

١٤٨. البيت للسموأل في ديوانه:٩٢، وهو أيضاً في الخزانة: وفي شرح ابن عقيل:٢٧٣/١.

١٤٩. البيت بلا نسبة في تخليص الشواهد: ٢٣٧.

١٥٠. المقتضب:١٩٤/٤، ٤٠٦. وينظر:أوضح المسالك:٢٣٨/١.

١٥١. معاني القرآن وإعرابه:٢٤٦/١.

وحجة المانعين أنها يغلب عليها جانب الحرفية، فيجريها مجرى "ما" النافية؛ فـلا يجيـز تقـديم خبرها على اسمها، ولا عليها[١٥٢]. وهذا كلام معياري، يخالفـه المسموع ومن حفظ حجة على من لم يحفظ، وقد سجّل عبد الخالق عضيمة كثيراً من الآيات التي توسط فيه الخبر بين ليس واسمها[١٥٣].

ونضيف إلى هذا بأن تقديم الخبر يحمل دلالة لا يحملها وهو مؤخّر، وأنّ قـراءة "البـرّ" بالنصب تنجم من قصد "البرّ" بالنفي، وهي تختلف عن قـراءة الرفع؛ إذ يتحول الخبر من الجزء المكمّل للفائدة، وحكم صادر على المبتدأ، إلى قمة دلالية بارزة في هذا التركيب. أمّا "البرّ" في الآية الثانية فلم تقرأ بالنصب لأن الباء واقعة في أول المصدر المؤول الذي ينبئ بأنه الخبر، وليس ثمة مندوحة ههنا عن هذه الدلالة.

وينـتقل إلى آية أخرى من سورة البقرة، وهي قوله تعالى[١٥٤]:"ولا تقولـوا لمـن يقتل في سبيل الله أمواتٌ بل أحياء ولكن لا تشعرون". ويذكر تعليق العكبري في التبيان:"قوله تعالى (أموات) جمع على معنى (مَن)، وأفرد (يقـتل) على لفظ (من)، ولو جاء "ميّت" لكان فصيحاً، وهو مرفوع على أنه خبر مبتدأ محذوف: أي هم أموات، (بل أحياء) أي بل قولوا هم أحياء، لمن يقـتل فـي سبيل الله ... (ولكن لا تشعرون) المفعول هنا محذوف تقديره لا تشعرون بحياتها".

وهـو يعلّق على كلام العكبري[١٥٥]:" ونستنتج من المقطع السابق ما يلـي:أولاً: استنكار غير مباشر ومبطن لاستخدام صيغة الجمع (أموات) مع

---

١٥٢. ينظر: شرح المفصل:٧/١١٤، حاشية الصبان:١/٣٤٢.

١٥٣. دراسات لأسلوب القرآن الكريم: القسم الثالث، الجزء الأول:٣٨٦.

١٥٤. البقرة: ١٥٤.

١٥٥. نفسه: ١٢١.

المفـــرد (لمن يقتل)، والدليل قوله :لو جاء ميتاً كان فصيحاً، ونحن نقول لو قـــال أحدنا ذلك لما سلم من لسان وقلم العكبري وأمثاله. ثانياً:استخدام كلمة وهمية وهي الضمير "هم"، ليبرر حركة الرفع في كلمة (أموات) عوضاً عن (هم أموات). ونحن نقول أموات لا تعادل (هم أموات) أبداً، ولماذا لا يكون تقديـــر الكلام (إنهم أموات).. ثم كيف ينوب الضمير الوهمي (هم) عن (من يقتل) أليس الأجدر أن نقول (أنت أموات) لينسجم الضمير مع صيغة المفرد. "ويـــبدو أن العكبري ينسى وينسى معه نحاتنا الأفاضل أن المتحدث هو الله عـــزّ وجـــل. وأن لا ترادف في كلمات الكتاب". وهو يطلب من القارئ أن يتأمل الآية كما يقدرها العكبري:"لا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله هم أموات بل قولوا هم أحياء، ولكن لا تشعرون بحياتها".

وهو يعرّض بالعكبري لأنه يقول:" :"قوله تعالى (أموات) جمع على معنى (مَن)، وأفرد (يقتل) على لفظ (من)، ولو جاء "ميّت" لكان فصيحاً، فهو يجهـــل أن العكبـــري يذكّـــر بقاعدة مشهورة في كلام العرب، لا في تنظير النحاة، مفادها أن كلمة "مَن" سواء أكانت موصولة أم غير موصولة، مذكرة اللفـــظ، وقد يكون معناها على غير ذلك، وعلى هذا يصحّ أن يعود الضمير علـــيها مفرداً مذكراً مراعاة للفظ، أو يعود مراعياً المعنى فيكون غير ذلك، وهذا أقل من الأول، ومن الأول قوله تعالى: "**ومنهم من يؤمن به ومنهم من لا يـــؤمن بـــه**"، وقد اجتمع الأمران في قوله تعالى:"**بلى من أسلم وجهه لله وهـــو محـــسن* فلـــه أجره عند ربه* ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون**" فالـــضمائر في الشطر الأول من الآية مفردة مذكرة مراعاة للفظ "مَن"، وفي الـــشطر الثانـــي للجمـــع مـــراعاة لمعنى "من". والاسم الظاهر حاله كحال الـــضمير. وقـــد أفرد سيبويه فصلاً في ذلك[١٥٦]، هذا هو لسان العرب الذي يجهله أوزون.

---

١٥٦. الكتاب: ٤١٥/٢. وينظر: المقتضب:٢٩٥/٢، ٢٥٢/٣.

وبعد أن يستعرض عدداً من الآيات ووجوه قراءاتها على هذه الشاكلة، ينتهي إلى قوله[١٥٧]:"عندئذٍ أقول: إن حركة أواخر الكلمات لا تغير المعنى، ولم يهتم بها الرسول صلّى الله عليه وسلم، وقد قرأ الصحابة في حياته بقراءات عدة، ومختلفة".

وقوله هذا هو محض افتراء وتدليس؛ لأن القراءات لم تكن باباً للفوضى، ولم يقرأ كلٌّ على هواه، كما يريد "أوزون" أن يسيغ للقارئ. وذكر أبوحيان أن القراءات القرآنية كلها، صحيحها وشاذها إنما جاءت على لغة العرب[١٥٨]. وقال ابن جنّي[١٥٩]:"والناطق على قياس لغة من لغات العرب مصيب غير مخطئ، وإن كان غير ما جاء به خيراً منه". وقال الداني[١٦٠]:"وإئمة القراء لا تعمل في شيء من حروف القرآن على الأفشى في اللغة والأقيس في العربية، بل على الأثبت في الأثر والأصحّ في النقل. والرواية عنهم إذا ثبتت عنهم لم يردها قياس عربية ولا فُشُوّ لغة؛ لأن القراءة سنة متبعة، يلزم قبولها والمصير إليها". هذا هو المذهب الذي لا يحسنه السيد أوزون، ولا أحسب أنه يريد أن يحسنه.

ويستعرض عدداً من الشواهد الشعرية، وإعراب النحاة لها، نحو: وقد يجمع الله الشتيتين بعدما يظنان كلّ الظنّ..."، و"تمرون الديار ولم تعوجوا..."، و"بني غدانة ما إن أنتم ذهب..."، ومرة يحيل إعراب هذه الأبيات إلى القارئ، وأخرى ينهي الإعراب بالحوقلة. ثم ينهي الفصل باستعراض عدد من التراكيب والأساليب، نحو: "أجدك، و" بله "، و"ربّ

---

١٥٧. نفسه: ١٤١.

١٥٨. البحر المحيط: ٤١٩/٨.

١٥٩. الخصائص: ١٢/٢.

١٦٠. النشر في القراءات العشر: ١٠/١-١١.

ارحمني"، و"لاسيّما). وكسابق عادته يعرب الأساليب، كما جاءت في بعض كتب النحو، ويفرك يديه ويحيل إلى القارئ وبلاغته، ليكتشف فساد الإعراب. إذ يقول[١٦١]:"ونترك للقارئ الخيار في قبول أو رفض تلك البلاغة القواعدية، وذلك العلم الفريد السامي، الذي لا نستطيع فهم لغتنا وفهم قرآننا الكريم بدونه". وهو في كلّ ذلك يشن هجوماً على كلّ مظاهر اللغة العربية الفصيحة، لا على النحاة كما يزعم.

ويَسِمُ فصله الأخير بـ"بين الماضي والحاضر"، ويستهله بقوله[١٦٢]:"إن عقدة القديم هي عقدة الشرق الإسلامي بأسره وخاصة العرب، فما جاء من القديم صحيح، وكلّ ما يعارضه وما خرج عنه خاطئ أو مشكك فيه". وهو يُثَرِّب أصحاب مدرسة الماضي، كما يسميهم، وهم كما يقول:"يقفون في وجه كل من يحاول أن يأتي بجديد أو ينتقد القديم، وهم ينسوَن أن اللغة كائن حيّ ؛ لذلك تجدهم يؤمنون بأن اللغة العربية الفصيحة(المقعّدة) قادرة على أن تستوعب كافة المفردات والمصطلحات الجديدة –خاصة العلمية منها– ونحن نرى غير ذلك تماماً".

ونجد أن مذهبه يتجلّى بوجه، لعله أكثر وضوحاً ومباشرة ممّا سبق، فمشكلة الشرق هو التعصب للقديم على علاته، ورفضه للجديد على نفعه، لا لشيء ولكن لحداثته، ولذلك فهو يعلم موقف هؤلاء الذي اعتادت أعينهم على العيش في الكهوف، ولا يقدرون على مجابهة الشمس، والعيش تحت الضوء. ومن البديهي أن "أوزون" هو من يحمل مشعل الحداثة، وهو الذي يرفع شعار " اللغة كائن حيّ"، ولا بدّ لهؤلاء الحالمين من أن يستيقظوا على الحقيقة التي

---

١٦١. نفسه: ١٥٥.

١٦٢. نفسه: ١٥٧.

يفجـــأهم بهـــا: إنّ لغـــتهم باختصار عاجزة، ولسانهم عَيِيّ عن أن يستوعب المصطلحات والمخترعات العلمية الجديدة.

وهـــو يـــرى أن يعـــتمد العـــرب في العصر الحديث المصطلحات الإنجليـــزية؛ إذ يقول[١٦٣]:" وعليه فإنه يتوجّب علينا أن لا نضيّع الوقت في إيجـــاد ما يقابل المفردات والمصطلحات العلمية الإنجليزية في اللغة العربية، وأن نعـــيد النظـــر في ما يسمّى بمجامع اللغة العربية ومهامها، فالعرب منذ بدايـــة القرن العشرين وحتى يومنا هذا – أي على مرّ قرن من الزمان – لم يقدمـــوا مصطلحاً واحداً في مجال العلوم والتكنولوجيا، في حين أنهم قدموا آلاف الكـــتب الدينـــية والأدبية التي لا تسمن ولا تغني من جوع... كما أن تسمية المخترعات هي من حقّ الأمم التي أوجدتها وأبدعتها ولا يحقّ لغيرها أن يغيـــرها". وهـــو يدعو إلى غلق باب من أهم أبواب العربية، فيقول:"إن إغـــناء لغتنا بمفردات ومصطلحات من لغات أخرى والتوقف والامتناع عن محاولـــة الاشـــتقاق اللغوي من جذور الكلمة العربية سيؤدي إلى تطويرها، وإلى مواكبة أهلها لآفاق العلم والمعرفة، وحسبنا بالقرآن الكريم إماماً، حيث استخدمت فيه مفردات غير عربية كثيرة (سندس، استبرق، سرادق...).

وهـــا هـــو ببساطة يرى أن المجامع اللغوية لا فائدة منها، ولا خير فـــيها. كما يقرر حقيقة أشد مرارة وهي أن المجامع لم تقدم مصطلحاً واحداً في مجال العلوم والتكنولوجيا، وأنّ العرب قدموا آلاف الكتب الدينية والأدبية التي لا تسمن ولا تغني من جوع، فالأمم التي تخترع هي التي تملك حق سكّ المـــصطلحات. واحرّ قلباه على الصينية واليابانية والكورية وأمثالها كيف لم تـــرزق بـــابن بـــارّ كالأستاذ أوزون يذكرها بسخافة الجهد الذي بذله ويبذله أبناؤها في سبيل البحث عن مقابل للمصطلحات الإنجليزية.

---

١٦٣. نفسه: ١٦١.

والــرجل كمــا نــرى ينفث كلّ ما يحوك في صدره على العربية الفــصيحة ومؤســساتها، فأمة العرب منذ عشرات السنين عالمهم وجاهلهم يسمّون السيارة والطيارة والدبابة والصاروخ وراجمة الصواريخ والغوّاصة والهاتــف... فإن لم تكن هذه مصطلحات عربية صميمة وضعت لمخترعات ظهرت في بلاد الأعاجم فما تكون.

وهــو جاحــد، فهو يبخس الكثير من المؤسسات والمراكز العلمية العــربية المعنــية بالتــرجمة والتعريب حقها؛ فالمجامع قد أبلت في مجال المــصطلحات بــلاء حــسناً، ويمكنه أن يطلع على المجلدات من محاضر الجلــسات والمعــاجم والمجــلات الصادرة عن مجمع القاهرة ليرى كم من المصطلحات عرّبت ودوّنت، وللمجمعين السوري والأردني، ومكتب تنسيق التعريب في الرباط، وغيرها من المراكز جهود طيبة أيضاً في هذا المجال، علــى أننا لا ننكر أن تلك الجهود أقل بكثير من الطموح، أمّا أن نجرد هذه المجامع والمؤسسات من كلّ فضيلة، فهذا ظلم ونكران لهذه الجهود الخيرة، علــى نقصها، وتشتتها، ولا يمكن أن يكون الغرض منه الخير للغة وأهلها، وما أجدر "أوزون" بهذا النكران!

أمّــا زرايــته على آلاف الكتب الدينية والأدبية أنها من قبيل عبث، ومضيعة للوقت، فلا يقول بهذا عربي يغار على عربيته وتراثه، ذلك التراث الــذي ربّــى الأجــيال، وهــذب طباعهم، وحفظ لغتهم. فضلاً عن أنه مادة عقــيدتهم. والرجل بعد ذلك لا يقرأ تاريخاً ولا يأبه به، فلو كانت اللغة التي يــزعم الانتساب إليها عيية، وتضيق بالتطور، لكان كشف عوارها، وفضح أمــرها، حيــنما نهــل العرب في العصرين الأموي والعباسي من كل علم، فاهتــضمته وأساغته تعلّماً وتعليماً. ودعوة أوزون إلى نبذ الاشتقاق إنما هي

دعـــوة محـــارب إلـــى تـــسليم سلاحه إلى أعدائه، وكفى بها دعوة إلى هدم العربية.

أمّـــا استشهاده بـــ"سندس" و"استبرق" ونحوهما، فأقول هذا اقتراض قـــوامه ألفاظ أعجمية معدودة دخلت العربية، ولا توجد لغة في العالم يزعم أصـــحابها نقاءهـــا مـــن مثل هذه الألفاظ، والإنجليزية نفسها التي يعتز بها "أوزون" فـــيها آلاف المفـــردات العـــربية، وهذه الحقائق شيء والدعوة إلى إدخـــال مجموعات كبيرة من الألفاظ والمصطلحات دون ضابط شيء آخر، وهي دعوة إلى إفساد اللغة وليس خدمتها.

وفي نهاية البحث يرى الباحث أنّ القراء سيكونون ثلاث زُمَر[١٦٤]:

- الزمـــرة الأولـــى وتـــشمل طـــلاب التحصيل العلمي العالي وكبار المثقفين، ويظنهم سيؤيدون البحث والأفكار المطروحة
- و الثانـــية تـــشمل المتخصصين، وهم – كما يرى- سيقرون بوجود ثغرات وإشكاليات في النحو العربي، وسيكونون عوناً هاماً له.
- والثالـــثة وتشمل أصحاب الاختصاص الذين آمنوا بالوهم والخيال، أصحاب الجارّ والمجرور وتعليقه.. .

والكاتب يطرح على نفسه سؤالين:

- الأول: ما الغاية من هذا العمل؟
- الثاني: ما هو البديل بعد افتراض قبول العمل؟

---

١٦٤. نفسه: ١٦٩.

وفي إجابته عن السؤال الأول يرى أن الغاية يمكن أن تقسم إلى قسمين، الأول مباشـــر، ويهدف إلى رفض قواعد النحو في اللغة العربية اعتماداً على النقد، والتأسيس لقواعد جديدة ترتكز على:

- موقع ودور الكلمة في النظم لا اعتماداً على أواخر الكلمات.
- إعمال العقل والمنطق في التقعيد.
- تأثير الزمن وفاعلية الأدوات (الحروف) في القواعد.

والهـــدف المباشـــر الثانـــي هو التأسيس لنشوء جيل عربي يتكلم لغة عربية واحدة دون ازدواجية بين العامية والفصحى. وهو يستدرك قائلاً[١٦٥]:" وهنا لا بد من الإشارة وبشكل صريح إلى وجوب عدم الخلط بين ما ندعو إليه، وبين لغة القرآن الكريم، فالقرآن الكريم في لهجته وقراءته هو صيغة تعبدية لا مجال لنقاشها، وبالرغم من أني مسلم مؤمن بكتاب الله عزّ وجلّ إلا أنه لا يمكنني فرضه على العربي غير المسلم ليكون مرجعيته العربية المعتمدة".

والقـــسم الثانـــي يمـــثل الهدف البعيد، ويهدف إلى خلق أمة عربية متطورة لها بصماتها في العالم المعاصر، لا بصمة أجدادها الغابرين، فلكي تتغير الأمة يجب أن تكون لغة معرفتها ولغة ثقافتها واختراعها ومعيشتها... واحـــدة، فـــنحن نـــتحدث بالعامية ونفكر بالعامية ونحب بالعامية. إن رئيس مجلـــس الوزراء البريطاني يتكلم في مجلس اللوردات كما يتكلم مع إخوانه وأصدقائه المقربين.

أمّا السؤال عن البديل، فيرى أنه ذكر خطوطه العريضة، أمّا الدخول في تفاصيله فيحتاج إلى عمل موسوعي ومؤسساتي كبير.

---

١٦٥. نفسه: ١٧١.

أقــول – مع الأسف– تمخّض الجبل فولد حَصاة. إن السيد "أوزون" يعتــريه طائف ممّا يسمّى جنون العظمة، فهو يرى أن الجموع تتلقف كتابه مــتلهفة فور قذف المطبعة أول نسخة منه، وهم بعد أن يغنموا ما غنموه من هــذه النــسخ ينتحي كل منهم زاوية، أو بطن وادٍ ينكبّ فيه على هذا السفر العظــيم، فيــصدرون عنه زمراً ثلاثاً. ونقول ههنا للسيد أوزون إن ما في الكتاب لا يمكن أن يؤيده من كان له مُسكة من انتماء إلى لغته وتراثه، ليس لأنه يهاجم العربية وأهلها وحسب، بل لأنه يدعو إلى التدمير والفوضى، ولا يملك منهجاً للبناء. فلكل مصلح ثلاثة أركان لا يمكنه أن ينجح دونهن، الأول أن يــتملكه حب المبادئ التي يبغي إصلاحها، وثانيهما أن يكون على معرفة بدقائــق تلــك المبادئ، والثالث أن يمتلك منهجاً واضحاً لهذا الإصلاح. ولا أظن أن السيد "أوزون" يحتقب أياً منها.

أمّــا هدفه المباشر وتأسيسه قواعد جديدة، مبنية على دور الكلمة في النظم، وإعمال العقل، وفاعلية الأدوات، فنقول له: هدفك في اطراح الإعراب معروف، ولكن من أنبأك بأن العربية تعتمد على أواخر الكلمات وحسب؟ أمّا مــسألة إعمال العقل وفاعلية الأدوات فلا أظن أن أحداً يمكن أن يخوض هذا المــيدان غيرك، كما رأينا، لأنك تضرب فيه بما يهجس في عقلك، دون سند مــن رواية ولا دراية. وأمّا سعيك إلى أن يأتي جيل عربي يتكلم لغة عربية واحــدة دون ازدواجــية بين العامية والفصحى، فأقول لك إن كل دعوة مثل دعــوتك مــصيرها الإخفاق؛ لأن أيّ دعوة تتجاهل اللغة العربية الفصيحة، ســيكون مصيرها مصير عروس من الثلج، لوحتها شمس الظهيرة، وسيبقى هــذا الجيل حلماً في رؤوس أصحابه، لا يمكن أن يتحقق، فالتمسك بالعربية الفــصيحة هو تمسّك بالعقيدة، وتمسّك بالوحدة، لأنها السلك الذي ينتظم كلّ مقوّماتنا.

أمّا إشارته الصريحة إلى وجوب عدم الخلط بين ما ندعو إليه، وبين لغة القرآن الكريم، فأقول إن ما أفسدته من اللغة التي تدعو إليها، وازدراءك لغـــة القرآن، ودعوتك إلى العامية صراحة، لا يجعل هذا التباكي على لغة القـــرآن يجوز على أحد. أو تظن أنه لو تحققت دعوتك الهدامة، سيبقى من يفهـــم هـــذا الكـــتاب المقـــدس؟ أمْ تـــريد أن يتحول تراث العربية أيقونات ومخطـــوطات يعـــد عارفـــوه فـــي عـــداد العارفين بالكنعانية والفرعونية والآشورية.

أما هدفه البعيد وهو خلق أمة عربية متطورة لها بصماتها في العالم المعاصر، لا بصمة أجدادها الغابرين، فأقول"شِنْشِنَةٌ أَعْرِفُها مِن أَخْزَم"، فبعد أن ضرّجتَ لغتك بالعقوق، أنت تعيش أوهاماً قد عاشها الكثير قبلك ولم تتعظ مـــن تجـــاربهم، فأيّ عامية هذه التي تدعو إليها يا سيد أوزون؟ ومن الذي ســـيأخذ بهـــا؟ السورية أم المصرية، أم الأردنية، أم المغربية، الحضرية أم الـــبدوية الـــشمالية أم الجنوبية؟ أمّا حلمك أن نصبح كرئيس مجلس الوزراء البريطانـــي يـــتكلم فـــي مجلـــس اللوردات كما يتكلم مع إخوانه وأصدقائه المقـــربين، فلا أقول إنك لست تعرف لغتك وحسب، بل ولغة غيرك أيضاً، وإذا ظنـــنت أن لغة رئيس مجلس الوزراء البريطاني، في مجلس اللوردات هي نفسها التي يتحدث بها في الشارع فأنت واهم، على الاختلاف البيّن بين العربية والإنجليزية.

فاللغـــة الإنجليزية تتفرع إلى عدد اللهجات المختلفة المتباعدة، والتي هي في طريقها لتصبح لغات منفصلة متمايزة، وما عليك إلاّ أن تدير محرّك بحـــث "الانترنت" في الندوات والمناقشات التي تدور في الكلام على عولمة

اللغـــة الإنجليـــزية لتعرف هذه الحقيقة[١٦٦]، ويمكن استشفاف بعض الحقائق المهمـــة في هذا الشأن من مقال"باربارا ولراف"المحررة في مجلة" atlantic monthtly" "اللغـــة العالمـــية"[١٦٧]، علـــى الـــرغم من أنها تأمل أن تكون الإنجليـــزية لغة المستقبل. وقد صنف بعض المؤلفين الإنجليز معاجم في لغة الشارع، كما صنع سكوت سمبسون في معجمه " the wee book of scots slang" [١٦٨]، ويحـــشد فـــيه طائفة من ألفاظ الشوارع، لا يعرفها أهل اللغة أنفسهم.

ويقـــول تراسك – ولعلك أكثر ثقة فيما يقوله– في كتابه: "أساسيات اللغـــة"[١٦٩]:كل لغة محكية عبر امتداد كبير من الأرض تتجلى فيها تنوعات كالإســـبانية والفرنـــسية والإيطالـــية والعربية... "، فالعربية ليست بدعاً من اللغات في هذا، كما أن الإنجليزية يجري عليها ما يجري على غيرها، يقول كلوكـــسبيرغ ودانكـــس فـــي كـــتابهما[١٧٠]" مـــدخل إلى علم النفس اللغوي التجريبي":في بلد كبير مثل الولايات المتحدة هناك " إنجليزية فصيحة" وهي لهجـــة مثالية لا تدل لا على إقليم المتكلم ولا على طبقته.. وهي السائدة بين المذيعـــين ومقدمـــي البرامج التلفزيونية" وجاء في الصفحة نفسها عن اللغة الألمانية:"إنك تفهم كلام الناس ما دمت تسير من منطقة إلى منطقة مجاورة،

---

١٦٦. وينظر ما كتبه د. أحمد أبو زيد في مجلة العربي العدد "٥٤٢" يناير ٢٠٠٤: ٣٠ "هل تقوم لغة عالمية واحدة؟".

١٦٧. Atlantic monthly, November. ٢٠٠٠ "global language".

١٦٨. The wee book of scots slang"" Scots simpson.

١٦٩. ٧٥ R.L.Trask: language. The basics:، وأرشدني إلى هذا نص ما جاء في كتاب" العربية تواجه التحديات" للدكتور طالب عبد الرحمن:٧٦.

١٧٠. نقلاً عن كتاب"العربية تواجه التحديات:٧٧.

ونحن إذا انتقلت إلى مسافة بعيدة ضمن الأرض الألمانية فلن تستطيع الفهم"، فهل اطلع أوزون على مثل هذه الحقائق.

وبعد فإن السؤال الذي لا يفارق الذهن عند قراءة ما كتب "أوزون "، وما كتب أمثاله قبله، وما سيكتب على نهجه من سيجيء بعده، إذا كانت اللغة العربية الفصيحة – ولنضع جانباً أنها لغة القرآن الكريم– عجزت عن مواجهة الحضارة– كما يزعمون– والقيام بواجباتها نحوها، بكل ما تحمل من خبرة ونجاح في مستوياتها كافة، وفي شتى ميادين العلوم على مدى قرون، أيمكن للهجة عامية فقيرة بين آلاف اللهجات أن تنوء بالعبء نفسه، بالكفاءة نفسها؟

وإنّ المرء ليحار حينما يسمع عربياً يزعم انتماءه إلى العربية ينادي بوأد العربية الفصيحة لعدم صلاحيتها، ويتأمّل ما يقوله المستشرقون ممن يفترض أنهم يعتزون بلغتهم التي يعرفون دقائقها، ولا يسعهم إلاّ أن يقرّوا بعظمة العربية، ومن هؤلاء "فيلا سبازا"، إذ يقول[١٧١]: واللغة العربية من أغنى لغات العالم بل هي أرقى من لغات أوربا لتضمنها كلّ أدوات التعبير في أصولها، في حين أن الفرنسية والإنجليزية والإيطالية وسواها قد تحدّرت من لغات ميتة ولا تزال حتى الآن تعالج رِمَم تلك اللغات لتأخذ من دمائها ما تحتاج إليه".

١٧١. الفصحى لغة القرآن: ٣٠٨.

خلاصة الموضوع:

- العنوان الذي وسم الكاتب عمله به ينبئ بشكل جليّ، بأنه يبحث عن الإثارة أكثر من سعيه إلى المنهجية والموضوعية في مناقشة القضايا التي طرحها[١٧٢].

- إن القـارئ المنصف لأي فصل من فصول كتاب "أوزون"، لا يسعه أن يـصف الكتاب إلا بأنه دعوة لإشاعة الفوضى في اللغة العربية الفصيحة، ودعوة صريحة للهدم، وازدراء التراث، بقطع النظر عن أهداف الكاتب.

- الكاتب يفور غيظاً على العربية الفصيحة وتراثها، وعلى الرغم من محاولـته إخفاء هذا الشعور إلا أنه باد في كلّ كلمة يتفوه بها. وما نقـده الجائـر لشعر امرئ القيس، إلاّ مظهراً جلياً من مظاهر هذا الشعور.

- كثيـراً ما يخلط بين مستويين من مستويات اللغة، المستوى اللهجي والمستوى الفصيح.

- يدعي "أوزون" إصلاح لغة وهو لا يملك الأدوات ولا المنهج لتحقيق هدفه الذي يسعى إليه.

- ينتقد في كثير من آرائه اللغة ومسالكها لا اللغويين والنحاة.

- يدعـو إلـى نـبذ باب من أهم أبواب العربية وأكثرها حيوية وهو الاشتقاق، وكفى بهذا هدماً.

---

١٧٢. ويـبدو أن الكاتب اتخذ "الجناية" منهجاً في تأليفه، كما أشرت في المقدمة، وقد أضاف إلى "جناية سيبويه" جناية الشافعي، وجناية البخاري، ولعله يفكر في تأليف موسوعة للجنايات.

- حِرْصــه على انتقاد تجاوز اللغويين -كما يرى- في إعراب بعض آيــات كــتاب الله الكــريم- وعلى الأخص مسألة زيادة الحروف- ضرب من السخرية، والاستهزاء، ومحاولة للتعريض باللغة.

- إن مــن أبــرز الإشكاليات عند الكاتب المصطلحَ النحوي، وتحديد مفهومه.

- استخدم الكاتب مصطلحات مضطربة، وأسلوباً ركيكاً ملبساً في كثير من مناقشاته.

- أسلوبه في كثير من مناقشته لقضايا اللغة، فيه كثير من الإسفاف.

- يــستخفّ بالقارئ، ويحسب أن حصيلة هذا القارئ اللغوية تمكنه من تمريــر هــذا الكم الكبير من معلوماته الخاطئة، فضلاً عن تحليلات سقيمة جلّها لا يمت إلى النصّ ولا الإصلاح بصلة.

- محاولــته اليائــسة فــي السير على خطى تفكيك العلاقة بين اللغة الفصيحة والقرآن الكريم محاولة بائسة ولا تجوز على أحد، فالزراية باللغــة الفــصيحة والتقلــيل من شأنها بهذه الصورة التي أنشأها لا تستثني أي نصّ عربي.

- إن الكاتب يستنكف أن يوثق رأياً محدداً من أيٍّ من المراجع النحوية أو اللغوية، على الرغم من صلتها بالموضوعات التي يطرحها، وما وثّقه منها، إنما هو إيهام بأنه عاد إلى شيء منها.

- تلبيــسه علــى القارئ، إذ يتناول الكثير من القضايا النحوية تناولاً جــزئياً، ويحرفها عن قصد، ليعطي القارئ صورة مشوهة عن تلك القضايا.

- يطرح الكثير من الانتقادات والملحوظات دون أن يطرح البديل.

- إن منهجه يثير الشكوك في كل ما يتعلق باللغة العربية الفصيحة، وهذا المنهج يمثل خطراً كبيراً عندما يطالعه من لا يملك المعرفة الحقيقية للعربية، فإن أضاف القارئ إلى هذا موقفاً سلبياً منها كان خطره أشدّ.

- الكاتب يدعو - كغيره ممن نَهَج نهجه- إلى لغة يأنف هو من استخدامها.

- ثمة قضايا أثارها الكاتب، هي قضايا تمسّ اللغة، وهي بحاجة إلى نظر وبحث، غير أن منهج الكاتب وحصيلته اللغوية وأسلوبه لا تؤهله لمناقشتها.

- إنّ المطّلع على كتاب السيد "أوزون" يخلص بحقّ إلى أن ما يليق به مقعد الدرس، لا منبر المصلح.

المصادر والمراجع

- الأستَراباذيّ، الرضيّ، شرح الكافيَـة، دار الكُتب العلميّة.
- امرؤ القيس، ديوان، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف،ط٤.
- الأنباري، أبو البركات، الإنصاف في مسائل الخلاف، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد،١٩٨٢.
- أسرار العربية، تحقيق فخر قدارة، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٩٩٥
- أوزون، زكريا،جناية سيبويه"الرفض التام لما في النحو من أوهام"، رياض نجيب الريس للكتب والنشر، ط١، ٢٠٠٢.
- البغدادي، عبد القادر بن عمر، خزانة الأدب ، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٩٨٦.
- التوحـــيدي، أبـــو حيان، كتاب الإمتاع والمؤانسة، ضبط وتصحيح أحمد أمين، وأحمد الزين، دار مكتبة الحياة، بيروت.
- ثعلـــب، أحمـــد بن يَحيى، مَجالس ثعلب، تحقيق عبد السّلام هارون ، دار المَعارف، ط٢.
- الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز، تحقيق محمود شاكر، دار المدني، جدة، ط١٩٩٢،٣.
- ابـــن الجـــزري، محمـــد بن أحمد، النشر في القراءات العشر، دار الكتب العلمية، بيروت.
- جرير، ديوانه، شرح إيليا حاوي، دار الكتاب اللبناني، ط١، ١٩٨٢.
- الجندي، أنور، الفصحى لغة القرآن، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٢.

- ابــن جنّي، أبو الفتح، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، دار الكتاب العربي، بيروت .
- حسن، عباس، النحو الوافي، دار المعارف، مصر، ط٣، ١٩٦٦.
- أبــو حــيان، محمد بن يوسف، البحر المحيط، تحقيق عادل عبد الموجود وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت،ط١، ١٩٩٣.
- ابــن خلدون،محمد،مقدمــة ابن خلدون،تحقيق درويش الجويدي، المكتبة العصرية،بيروت٢٠٠٣.
- الــزجاج، أبو إسحاق إبراهيم بن السري، معاني القرآن وإعرابه، تحقيق عبد الجليل شلبي، عالم الكتب، ط١، ١٩٨٨.
- الراجحي، عبده، التطبيق النحوي، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٥.
- الزَّجّاجيّ، أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق، مَجالس العُلماء، تحقيق عبد السّلام هارون، وزارة الإرشاد، الكُويت،١٩٦٢.
- الزمخشري، أبو القاسم، محمود بن عمر، الكشّاف، دار الفكر .
- السامرائي، فاضل، معاني النحو، دار الفكر، الأردن، ط٢، ٢٠٠٢.
- ابــن الــسرّاج، أبو بكر محمد بن سهل، الأصول في النحو، تحقيق عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٩٨٨ .
- السموأل، ديوانه، مطبوع مع ديوان عروة بن الورد، دار صادر، بيروت.
- ســيبَوَيه، الكِــتاب، تحقيق عبد السّلام هارون، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٩٩١.

- الـــسيوطي، جـــلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، هَمْع الهَوامع، تحقيق أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٨.

• الاقتراح، تحقيق أحمد الحمصي ورفيقه، جروس بروس، بيروت، ط ١، ١٩٨٨.

- الـــشوباشي، شـــريف، لتحيا اللغة، يسقط سيبويه، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٤.

- الـــصبان، محمد بن علي الصبّان، حاشية الصبان على شرح الأشموني، تحقيق أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٧.

- الحمـــوي، ياقـــوت، مُعجَـــم الأدبـــاء، تحقيق إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي،ط١٩٩٣،١.

- عـــبد الـــرحمن، طالـــب، العـــربية تواجه التحديات، كتاب الأمة، وزارة الأوقـــاف والـــشؤون الإســـلامية، قطـــر، العدد، ١١٦، السنة السادسة والعشرون، ط١، كانون أول، ٢٠٠٦.

- عبد العزيز، محمد حسن، محاضرات في اللغة العربية ومشكلاتها، مكتبة الشباب .

- ابـــن العجـــاج، رؤبة، تصحيح وليم بن الورد، دار الآفاق الجديدة، ط١، ١٩٧٩.

- عضيمة، محمد عبد الخالق، دراسات لأسلوب القرآن الكريم، دار الحديث، القاهرة.

- ابن عقيل، بهاء الدين عبد الله، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، ١٩٩٠.

- الفراء، أبو زكريا، مَعاني القرآن، دار السرور، بيروت لبنان، ج١:تحقيق أحمد نَجاتي ومحمّد النّجّار، ج٢: تحقيق محمّد النّجّار، ج٣: تحقيق د.عبد الفتاح شلبي.

- فلـــيش، هنـــري، العـــربية الفصحى"نحو بناء لغوي جديد"، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار المشرق، بيروت، ط٢، ١٩٨٣.

- القرطبـــي،أبو عبد الله محمد بن أحمد، الجامع لإحكام القرآن الكريم، دار الكتب العلمية، ١٩٩٣.

- الكـــسائي، علـــي بن حمزة، مَعاني القرآن، تحقيق.عيسى شحاتة،دار قُباء للطّباعة، ط١، ١٩٩٨.

- الكنغـــراوي، صـــدر الدّين، المُوفي في النّحوِ الكوفي، تحقيق محمّد بهجة البَيطار، المَجمَع العِلميّ العربيّ .

- ابن مالك، محمد، شرح الكافية الشافية، تحقيق علي معوض وزميله، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٠.

- المُبَـــرِّد، محمد بن يزيد، المُقتضَب، تحقيق عبد الخالق عُضَيْمـــة ، عالَم الكُتُب.

- ابـــن مجاهد، أبو بكر أحمد بن موسى، كتاب السبعة في القراءات، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف.

- المخزومي، مهدي، في النحو العربي نقد وتوجيه، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، ١٩٦٤.

- مدكـــور، إبـــراهيم، مجمـــع اللغة العربية في ثلاثين عاماً، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، ١٩٦٤.

• محاضر الجلسات في الدورة الحادية عشرة، القاهرة، ١٩٧١.

- ناصف، علي النجدي، سيبويه إمام النحاة، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٧٩.

- الهـــروي، علي بن محمد، الأزهية في علم الحروف، تحقيق عبد المعين الملوحي، ١٩٨١ .

- ابن هشام، جمال الدين عبد الله، أوضح المسالك إلى ألفية بن مالك، تحقيق بركات هبّود، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٤.

• مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق، مازن المبارك وزميله، دار الفكر، بيروت، ط٦، ١٩٨٦.

• ابـــن هشام، عبد الله بن يوسف، تخليص الشواهد، تحقيق عباس الصالحي، المكتبة العربية، بيروت، ط١، ١٩٨٦م.

- ابـــنِ يَعيشَ، موفق الدين، شرح المُفصّل، المَطبعة المُنيريّة بالقاهرة .

- The "Scots simpson, black and white publishing, ٢٠٠٤ wee book of scots slang"

- R.L. Trask: Language. The basics. ٢nd edition. Routledge ١٩٩٥.

المنشورات:

- مجمـــوعة القـــرارات العلمية في خمسين عاماً(١٩٣٤-١٩٨٤)، أخرجها محمد شوقي أمين وإبراهيم الترزي، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، ١٩٨٤.

المجلات:

- مجلة العربي العدد "٥٤٢" يناير ٢٠٠٤.

- مجلـــة التـــراث العربـــي، مجلة فصلية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب، دمـــشق، العدد٩٣-٩٤، السنة الرابعة والعشرون، آذار وحزيران، ٢٠٠٤، المحرم وربيع الثاني ١٤٢٤هـــ.

-Atlantic monthly, November ٢٠٠٠